

محمد أولاد أحمد «صعلوك» الشعر التونسي

□ تونس - عبدالدائم السلامي



والأمنية والثقافية منذ ديوانه الشعري الأول «تسديد الأيام الستة» الذي صوّر إثر نشره ولم يفرج عنه إلا عام ١٩٨٨، أعلن رفضه لكل ما يهدّد مدينة الدولة وثقافة المواطنين الحدائرية ولعل من أبرز خصوماته تلك التي كانت له مع حركة النهضة الإسلامية (بماز الإخوان المسلمين سابقاً)، حيث تكفل بفضح زبوجية خطابها، وكشف سعيها إلى جسر المجتمع التونسي إلى عتاهب الماضي، وانحيازها إلى الجماعة لا إلى الوطن. فأثرت عليه مواقف حفيظة أنصار حركة النهضة والمتشدّدين الإسلاميين الذين انتبروا بهدونه وشبهوهن صورته لدى الناس بل وقد وصل بهم الأمر إلى الاعتداء عليه ماياً بعد تصريح له بأحد منابر الإعلام التونسية حول ظاهرة الإرهاب، ولتألم لم يتخّر إصابته من قبل الجهات الرسمية كتب: «سنت اول من تم الاعتداء عليه ولن أكون الأخير. منذ هذه اللحظة لم أذكر بأية شريعة وإن يجرؤ أي مدني أو عسكري، صامت عن مثل هذه الممارسات، من قبائل الشعر وصواعق الثرثرة، واذكر أنه قال، لي، خلال زيارتي له بالمستشفى العسكري بنوس قبد يومين من وفاته لقد «جرّب الديبون» كحلّ توشة وشلوا، ويجرّب الديبون الآن كتحوش وقد برهنوا أنّ فيلهم، من يصلح لهم نظام الحكم لا الأهل».

بعد «تسديد الأيام الستة»، نشر أولاد أحمد مجموعة من الكتب بين ليس لي مشكلة، وفاسمحل، وحالات الطريق، وجنوب الماء، والوصية، ونشر في ثروة التأسيسين «القيادة الشعرية للثورة التونسية»، وكتاب التونسية، التي منحني شرف كتابة مقدمته. يؤمن أولاد أحمد بانها مادام المجتمع العربي لم يتعلم بعد التكتيف في ملفوظه وبل ولن تكونه فبان العالَم لن يفهمه، بل ولن يحترسه، وهو الإغلام تجلّي في تصويبه الشعرية والتربوية، حيث عرفت قصائده باقتضابها في السلام وفي تناسق معانيها مع سياقاتها الاجتماعية، فإذا جملة الشعرية جملة مكثّفة بلاهارة، ورشقة، وفي حريضة على التخفّف من مبالغة الكُتُب والإتلاء الواعي بملاعة معيش الناس ومرارة استلهمه. ومن مميزات قصيدة أولاد أحمد الجراءة، وهي قصيدة مستهدفة، يمزج فيها البعد بالقرب، والذات بالأخرى، وفيها جرح حفيظة تجرّبه على اللغة إلى أقصى ما يمكنها، على غرار ما فعل في قصيدته التي كتبها في المستشفى: «قد أموت شهيداً/ وقد لا أموت شهيداً».

انتظار إن نحنّا هي بدورها. إذا وجدت يوماً شاعراً في أيام الأسبوع. توفي أولاد أحمد بعد مرض عضال ألم به قبل عام، غير أنه كان واعياً بما له، فلم يتهيب نهايته وإنما ظل يستقبل اصداقه وعشاق شعره في غرفته، ويدعوهم على عدم إغرابهم عن حبيبه له لأن في ذلك ما ينفعه، يخبرهم ذلك بكثير من السخرية التي عرف بها، ولم ينس أن يكتب قصيدة وداعه التي جاء فيها: «أودع السباقي/ أودع السباقي/ والسباقي/ أودع الأسباب والمناسق/ أودع الطرق والمناسق/ أودع الأيائل/ والبرقات».

لم يرض أولاد أحمد بالحياة كما يفرغها عليه الواقع، وإنما ظل يتماح مع أجل أن يضع له حياة خاصة، خاصة وباللغة وفي اللغة وفي أجل اللغة، فهاهنا ظاهرة شعرية في تونس على امتداد ثلاثين سنة، بل صار صعلوك الشهيد الثقافي الذي ساعد الثقافة الاستبدادي

إحدى وستؤون سنة كانت كالمية للراحل محمد الصغير أولاد أحمد ليكون شاعراً ضرورياً جداً، وتونسياً دقة واحدة، وجامهيريّاً بالكلية، فلم يحظ شاعر في تونس بمثل ما حظي به من اعتراف شعبيّ لعل من اجلى صورته تكريمه قبل شهرين ضمن نشاطات المجتمع المدني تكريماً كبيراً في المسرح البلدي في العاصمة تونس. وجزءاً ذلك حسده زملاؤه من الكتاب، وحسده نظاماً بورقوية وسن على على جماهيرية الغوية التي لم يقدرا على صناعتها. على رغم ما لهما من مؤسسات مادية ورمزية. وبعدما فشلت السلطة التونسية في وضعه تحت رعايتها، كما وضعت مجاليته من الشعراء والكتّاب مقابلاً امتيازات ضلمة، طرده هو من وثقافته، وأغلقت أبواب اناشور العيش، والفتّ به في السجن، ثم في الهاش. غير أنّ إصرار أولاد أحمد على الحياة جعله يضحي بجسده الهزيل في الفضاء العام قرباناً للمشاركة في انتفاضات المهتمشين من الطلاب والنقابات العمالية والفقراء والعشاق والمثوريين والمعارضين السياسيّين من استبداد دولة بورقوية ومن بعدها دولة بن علي. وقد نجح بذلك في الهاشمية إلى فضاء مركزيّ تتسع منه أفكار الثورة على السائد السياسي والثقافي والإداري. وفي هذا الشأن كتب منذ أشهر قائلاً: «خضنا حروباً عديدة ضد استبداد الإرادة واستبداد الدولة واستبداد التقدي الأيدي واستبداد التواصل المدني، لم ننصر بالكلية، ولم ننهزم بشكل حاسم، وهيا نحن الآن نخوض حرباً مع مرض أمي، لا يحسن القراءة والكتابة، لا نحمل المسؤولية لأحد من هذه الأيائل التي أصبحنا ضحايا وبيوم الأيائل، في

فائزون بجوائز الشيخ زايد للكتاب

■ أبوظبي - «الحياة» - أعلنت جائزة الشيخ زايد للكتاب الثامنة والعشرين في دورتها العاشرة ٢٠١٥ - ٢٠١٦، وهي «جائزة التميز وبناء الدولة» فاز بها الباحث الإماراتي جمال سند السويدي عن كتابه «السرايا» (مختارات مركز الإمارات للدراسات)، «جائزة الأراب» فاز بها الكاتب المصري إبراهيم عبدالمجيد عن كتابه «أوراها الكتابة» تجرّبت مع الإبداع (الدار المصرية اللبنانية)، «جائزة الفنون والدراسات النقدية» فاز بها الناقد المغربي سعيد يقطين عن كتاب «الفكر الأدبي العربي: البنيات والناسق» (شذاف - الأمان - الاختلاف)، «جائزة الترجمة» فاز بها المترجم العراقي كيان يحيى عن ترجمة كتاب «معنى المعنى» عن الإنكليزية لفراد الكاتب (الجديد)، «جائزة التأسيس العربية في العتات الأخرى» فاز بها الباحث المصري الفرنسي رشدي راشد عن كتاب «الزوايا المقدم» والمقدّم، باللغة الفرنسية (دار دي غرونيتر)، جائزة التقنيات الثقافية والنشر فازت بها دار السامي، وأعلنت جائزة الشيخ زايد حجب فردي أبو الطلل والثامنة والمؤلف الشاب.